http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1649) السنة السابعة - الأحد (8) تشرين الثاني 2009

موت شاعر..

البلاد التي غادرها آخر شعرائها الصعاليك

قاسم محمد عباس

انطفاء

بموت الشاعر صباح العزاوي يمكننا إغلاق عالم من الحكمة والجنون والشعر، كان قد فتح بعذابات ووقائع وتواريخ ألهمتنا التأمل، وأعطتنا تأكيدات على قوة الابتكار الانساني وهو يتحطم على انكسارات ابطالنا الشعريين المستلهمين لتمرد جمالي كسلوك شعري وحياتي، وامتزاجهم بمخيلة غامضة، تسعى نحو تدوين حكاية شعراء لم يسجلها تاريخ، حكاية اختيار للحظة الحياة، واختيار لفتنة عيشها على نحو صادم ممتلئ بمواجهة تسمح بقول الحقيقة من دون تدخل ، كمن يتحدث عن الدم بوصفه لونا للزهور الحمر.

سير مفقودة

كلّما مررت بالوزيرية أو باب المعظم وصولا إلى ساحة الميدان استوقفتني صور قديمة لصعاليك شعراء، طالما تركوا مسحة من الجمال واللامعقولية على إيقاع شارع شهد الكثير من حوادث الجوع والموت والخوف والحنين. خلفوا أثرهم بوصفهم كائنات متمردة على السياق الاجتماعي وذاكرته الثقافية، فسيرة حسين مردان والحصيري وجان دمو ونصيف الناصري صورة حقيقية ومؤثرة ومنتجة عن جنوح شخصيات أدبية تركت نتاجها كتابة وسلوكا على وقائع الحياة الأدبية في العراق،شخصيات يصعب درجها ضمن إطار المستقرات والمتعارف عليه، أو لنقل يصعب إخضاعها لسيرة اجتماعية وثقافية، فهي دائماً تبحث عن صياغة وجود آخر، بشروط أخرى، وقد بدا هذا واضحا من المواقف التالية لنصيف الناصري وهو يؤرخ ويصوغ حقيقة هذا الموقف من الحياة والكتابة والصعلكة.

وبموت أو مغادرة تلك الأجيال البلاد تركت امتداداتها تتوالد على الرغم من اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية،فقد اقفلوا على حكاية نادرة من حكايات الصعلكة.

فبعد أن اختفى هادي السيد عن زوايا الكرنتينة والميدان وباب المعظم.. تحول الشارع الذي يربط جسر باب المعظم بكلية الفنون الجميلة إلى بقية من أحجار وروائح وأشجار يابسة.فطالما حفر هادي السيد هذا الطريق بخطوات مترنحة صارخا في وجه الأشجار والمارة والأدباء.

هذا المكان المزدان بشطحات شعراء تركوا حكمتهم وبكاءهم وسورياليتهم على مناطق انتظار الباص ومداخل المقاهي،وأبواب المطاعم ،ووجوه الجنود وكتب الطلبة ، وفي الفضاء المواجه لزجاج مقهى حسن عجمي ، ومدخل شارع جريدة الجمهورية، الأرض التي تحرك عليها هؤلاء الصعاليك، دخلت وعي وتاريخ أجيال من القراء ومحبي الأدب والكتاب والطلبة والجنود، صعاليك تناوبوا على سدانة شارع يمتد من جسر مشاة باب المعظم وحتى مدخل كلية الفنون الجميلة، ولم يزيدوا على تلك المساحة كي يدخلوا كافتيريات أنشئت فيما بعد، فهم يتحسسون من الألوان البراقة والموسيقى الهادئة،والملابس الأنيقة تستفزهم تلك الأكواب الفاخرة، أو فناجين تدار على رواد قاعات الرسم في الوزيرية. تربكهم تلك الأجواء والفضاءات التي تذكر بعالم آخر غير عالم شارع الرشيد وحسن عجمي والميدان.

موت .. وكلمات أخيرة

لن آتي على مدح أو رثاء من رحل من هؤلاء.. لكنني سأستعين بمناسبة رحيل شاعر ، تاه بين حجيم الديكتاتورية ، وبين فوضى ما بعد سقوطها ، فموت الشاعر صباح العزاوي أعادني بقوة إلى ماض سيختفي بالتأكيد من أطراف الحياة الثقافية كما كان يحيط بها، حطم حواجز وثوابت هؤلاء الصعاليك الذين أسسوا لعالم من الجنون والكتابة والحب والحياة. واحد من هؤلاء بدا عصيا على موجة التغييب والإخفاء التي تفرضها وقائع حياتنا الآن.

فمثلما كان عبد اللطيف الراشد يرى فيّ وفي علي بدر صديقين وفيين ليسلمنا ديوانه ذات يوم ليقدمه علي بدر وأراجعه أنا وأطبعه فيما بعد. اعتاد (صباح العزاوي) أن يسلمني كل مدة مجموعة من القصائد لأنشرها له هنا أو هناك.

أتذكر اليوم وانا اقرأ نبأ موته من على شاشة العراقية كخبر عابر ، غير أبه بالزلزال الذي يضرب حياتنا ومصائرنا ، اتذكر انه ثمة ملف في مكتبتي فيها مختارات شعرية لم تنشر لصباح العزاوي ، اعود لمكتبتي على عجل واعثر على ما ترك ، وابدأ بالقراءة ، الآن سيفقد المكان بغياب هذا الشاعر طرفا من وجوده، إن لم اقل طريقا من طرائق الحياة فيه.

أتذكر الشارع الذي يربط الباب المعظم بكلية الفنون الجميلة نحو قاعة حوار، مارًا بمقهى الجماهير، وأتذكر الزقاق المؤدي إلى المقهى فتتقافز وجوه هادي السيد، وعبد اللطيف الراشد وصباح العزاوي وغيرهم بوصفهم من كبار مؤسسي التيه والشجاعة والتمرد والضياع والحقيقة، لمرحلة ما بعد التسعينيات، لم أتأكد فيما لو كان صباح العزاوي حياً أم اختفى هو الآخر،لكنني تذكرت بوضوح دموع هادي السيد وهو يستقبلني من بعيد، تذكرت ابتسامة عبد اللطيف الراشد، وهو يوبخ الأصدقاء.. لم أجد في ذاكرتي صورة تلخص لي صباح العزاوي... فضحكته تنافسها مشيته، ودفتره ينافس جملا بلا معنى تتطاير فوق أشجار المطابع العسكرية،وعلى ارصفة بناية صحيفة الجمهورية، وفوق نوافذ دار الحرية للطباعة، لكنني كنت مشدودا لعصيانه على التوثيق في ذاكرتي... يحضر بتفاصيلة فوق مسودات القصائد وحنين جارف يشدني نحو مقهى الجماهير، ووجوه قافلة من التائهين تنعكس هنا وهناك، ترثي مكانا حمانا من جوع الحصار، وأمن لنا موطنا ضد سنوات الحاجة والقمع واليأس.

مؤرخ الصعلكة

صورة صباح العزاوي تنقصها الكثير من الملامح، يتوجب الوقوف عندها ،ليخرج علينا من أرصفة الوزيرية كمومياء داكنة، هيكل عظمي غطته ملابس زرقاء.

كل مرة كان يظهر لي وينظر في وجهي ويصرخ : أين قصائدي؟

أدين بالفضل لمعرفتي بعالم هؤلاء للشاعر خالد مطلك.. خالد الذي أعده أبا روحيا لاكتشاف المتوحدين، والمواهب المدفونة.. خالد الذي لا يشبهه أحد في التقاط الأذكياء من الصعاليك، نظرته وهو يرصد كلماتهم أو يختبر معارفهم.. تشير إلى شاعر جاء في زمن خاطئ، اندهش كيف لم يكتب إلى الآن تاريخا عن هؤلاء؟ فمنذ أن أسس نصيف الناصري الجزء اللاحق من تاريخ الصعلكة لمرحلة ما بعد الستينيات والسبعينيات متأثرا بجان دمو ومن سبقه، اندفع خالد مطلك بدفع هؤلاء إلى واجهة اليوميات الأدبية في العراق، فهو الأب الروحي لو جاز لي القول لصعاليك زمن الحروب دون أن يعني ذلك منافسة الشاعر نصيف الناصري، وأظن أن ضياع تراث الجيل اللاحق لهؤلاء بتفاصيلهم وكتاباتهم بسبب هجرة خالد مطلك من العراق، فهو مكتشفهم، ومن وضعهم على طريق الصعلكة، ومن نظّر لأفكار التيه والضياع في مواجهة الاندثار والقمع والظلم، ولو قدر لشاعر مثل خالد مطلك أن يدون شيئا عن التاريخ الاجتماعي للحركة الشعرية منذ الثمانينيات لخصّهم بفصول ووقائع شاهدها الوحيد وصانعها هو لا غيره.

رمزية الصعلوك شعريا

لست هنا بصدد وضع مخطط عن حركة ودور وتأثير هذه الجماعة التي اقفلت تاريخا بموت صباح العزواي ، لكنني اتخذ من موت آخرهم (العزاوي) مناسبة للنظر في فكرة الإخفاء والضياع، بسبب اختفاء مجال الصعلكة ذاته، بفعل يوميات العنف والموت والحيرة والمجهول في راهن حياتنا الان ، فكيف يمكن لمجموعة من الحالمين أن يتصدوا لآلة التفخيخ والاغتيال والانفجارات، هؤلاء الذين ليس لهم من الحياة سوى قصائد وحقائب وشطحات، وحكمة عاجزة إزاء انقراض حياة بأكملها، اطمح هنا وعبر حادثة موت (صباح العزاوي) حيا أن انشر مجموعة من قصائد هذا الشاعر لأذكر بجانب حي وجميل وغني من وقائع حياتنا الأدبية، لعلني بهذا التذكير أحرض مخيلة وذاكرة أصدقاء آخرين ليدونوا سيرا ربما ستضيع لو لم نوثق تفاصيلها. والموضوع ببساطة ليس إلا مواجهة للصعاليك جديدة مع قوة جديدة هي الفوضى والإرهاب والحياة المبتورة التي تحاول امتصاص نسغ حياة صعاليك بغداد، فوجدتني أفكر بسؤال ما الذي يمكن أن نفعله باختفاء جمعية الشعراء الصعاليك هذه في مواجهة ما يعانيه الانسان الان في العراق؟

عندما يحزن الشاعر

تحدث الشاعر صباح العزاوي عام ٢٠٠٤ عن العقل الأمريكي وجمال ما انتجه،لكنه كان حائرا بالحياة التي خربها الاميركان انفسهم ، كان يصرخ بين جملة وأخرى لا افهم لم قتلوا شاعرا هنا، أو دهسوا حديقة هناك بسياراتهم .

تأكدت من أن صباح لم يزل يعترض، كما كان يفعل وهو يقف وسط سوق الكتب ببغداد ويلعن جلاوزة الدكتاتور.

لم أفكر بشيء...وانا اتصفح القصائد التي اودعها صباح لدي.. اقلب الان الاوراق التي سودها واتذكر كيف مددت يدي لأسلم عليه فمد يده بتردد وما أن سمعت حشرجة صوته حتى تبين لي انه في طريقه إلى الموت.. سحب يده قائلا... أنا مصاب بمرض معد... لكن أين قصائدي؟

قلت له: نشرت لك اكثر من مرة بعضاً مما لدي ، وهناك الكثير لنتركه لما بعد موتك ، هل لديك قصائد أخرى؟ فأخرج دفترا ممزقا قال: خذ هذه بعض قصائدي، تصفحت تلك الأوراق الممزقة ورحت اقرأ فيها، فقام هو تاركاً المكان وهو يشير بأصبعه إلى ديوانه الممزق الذي لم يكن سوى قصائد بدا لي أنها كتبت وسط ظلام، أو تحت وطأة خوف، كان الخط عسيرا عند القراءة، فوجدت أن انشر منها بعض المقاطع.

مختارات من شعر صباح العزاوي

البلاد

البلاد شوارع
أو البلاد فوضى
أو وجل الطفولة
ربما فكرة معتمة
في مخيلة شاعر.
البلاد هواجس
أو عدو قتيل
هاوية
هي البلاد
البلاد نهران
جبال بلا ثلوج
مدن غاضبة
البلاد خبز
أو طعنة في الحدائق
نقاش عابر في محطة باص
أو هي الأحبة
هي الصبايا الحالمات
هي الجنود
أو حريق مفاجئ
هي السيف ربما
هي الرماد
هي الامهات بأجنحة
أفكر بالبلاد
بالبلاد التي
هي مراهقة شاعر حزين
بالبلاد التي
هي الزنازين
أو مصحة للجنون
افكر بالبلاد التي
هي روح
وطين
وماء
وبهجة مرحة
إطلالة
على زمن من نور
او بلادي التي هي إغفاءة
بين ضفتي نهر خجول

◃ حياتي والشعر ▹

طريقان ممتدان بينهما
القتل
حياتي التي أحياها
.....
ضوءان متعامدان بينهما
المطلق
هو ما خلفه الشعر

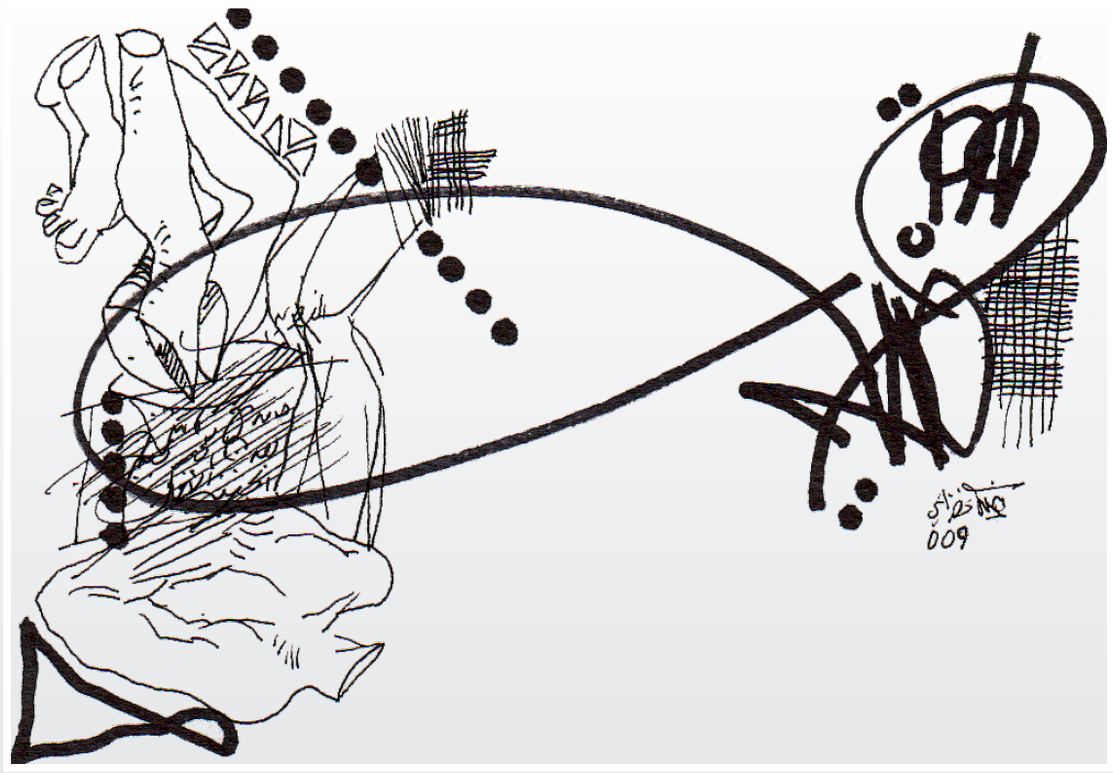

اصدارات

عدد جديد من مجلة "بانه روز / المستقبل"

بشار عليوي

عن جمعية كركوك الثقافية والإجتماعية، صدر حديثاً العدد رقم (٥٠) من مجلة (بانه روز/المستقبل). وهي مجلة ثقافية شهرية تصدر باللغتين العربية والكُردية وتُعنى بالتواصل الثقافي العربي ـــ الكُردي. وقد حفل هذا الإصدار، بالعديد من الدراسات والبحوث والمقالات ضمن محاور المجلة الثابتة. ففي القسم الكُردي من المجلة وضمن محور/مقالات/ نُطالع مقالة بعنوان (إنتخابات الـ٢٥تموز ـــ مرحلة الى الأمام) بقلم "علي حسين صالح" وهي عن إنتخابات برلمان كُردستان التي جرت مؤخراً. ونقرأ أيضاً مقالة تعنونت بـ(مُلاحظات على القيادة) كتبها "هونر محمد كريم"، ونُطالع ضمن المحور ذاته، (المُستخلص من السياسة) بقلم "ماشاء الله عثمان"، كما نقرأ (خلاصة الحديث حول الفن المعماري في العصر الميدي) بقلم "كمال نوري معروف"، فيما كتب "جواد خليل" مقالة بعنوان (منطقة بادينان في أحضان التأريخ)، أما شكر محمد حيدر فكتب (أنا والعم عبد الله).

ونقرأ مقالة حملت عنوان (الموعظة في المُجتمع الكُردي) بقلم ساره سيروان أحمد. كما نقرأ مقالة بعنوان (السيناريو في المسرح) بقلم/كرميان شكر محمد حيدر. ونقرأ مقالة بعنوان (الديمقراطية بين الأصلاح ومكافحة الأرهاب) بقلم (يوسف محمد). وضمن محور/تاريخ/نُقرأ دراسة بعنوان (الأشوريون والميديون.. نظرة في حياتهم السياسية) ترجمها من الفارسية، كمال نوري معروف.

كلود ليفي شتراوس

رحيل آخر المفكرين الفرنسيين في عصره

ترجمة: ابتسام عبد الله

ان شهرة كلود ليفي شتراوس، الذي توفي مؤخرا عن مائة عام، تجاوزت موضوعة الانثروبولوجي (علم الانسان) لقد كان بلا شك العالم الانثروبولوجي الاكثر شهرة بالنسبة لغير المختصين. ويعود ذلك بشكل رئيسي لاعتباره مؤسس الحركة البنيوية، والتي كان لها تأثير كبير جدا في العالم وخاصة في اعوام السبعينيات. كان ليفي شتراوس احد اكثر المفكرين الفرنسيين الكبار – مثل جان بول سارتر، وسيمون دي بوفوار، وميشيل فوكو، ورونالد بارت، وجاك دريدا واخيرا بول روكور – الذين تعدى تأثيرهم الى فروع اخرى من المعرفة، لانهم كانوا فلاسفة على نطاق واسع بمعنى الكلمة متجاوزين بذلك الفلاسفة الاكاديميين البريطانيين والامريكيين.

وكنتيجة فان هؤلاء الفلاسفة بدوا اكثر تحفيزا بالنسبة للمفكرين الأنغلو ساكسون، في مجالات الادب والتاريخ والاجتماع. ومن سخرية القدر ان تكون سمعة شتراوس كذلك وهو الذي يعتقد نفسه انثروبولوجيا تقنيا في الدرجة الاولى، وكان يبدي عجبه ودهشته للحماس الذي كان يبديه طلاب الادب وغيرهم لافكاره البنيوية. ومن جهة اخرى لا يمكن ابدا نكران انجازاته في المجال الادبي واغنائه له، ومؤلفاته في هذا المجال لا تزال مطلوبة من القراء. ولد ليفي شتراوس في بروكسل لعائلة فرنسية فنية، وتلقى تعليمه بشكل اعتيادي في الطبيعة البشرية. ثم واصل تعليمه في فرنسا وتخرج من السوربون، مثيرا الاعجاب لصغر سنه، بنجاح كبير، واجتاز اختبار الفلسفة، بعد تخرجه اصبح مدرسا في ديكاردي (كلية من الدرجة الممتازة).

على اي حال فان شتراوس سرعان ما تحرر من وهم الفلسفة لعدم ميله الى الاشكال الاخلاقية للحركة الاشتراكية الفرنسية في ذلك الوقت ولفترة من الزمن تخلى عن اهتمامه بالسياسة، ولم يشارك – مما يثير العجب – بالاحداث الدراماتيكية في خلال اعوام ما بعد الحرب. بدلا من ذلك، بدأ اهتمامه بالانثروبولوجي، بعد قراءة مؤلفات العالم الامريكي، روبرت لاوي. ويعود ذلك بالدرجة الاولى لادراكه ان غناء الثقافات التي كانت تعرف بالبدائية اعطت الكذبة للكتاب المتفائلين بحركة التطور من امثال اوغست كومتي.

ان نتيجة ذلك الاهتمام ظهرت في عضويته لمجموعة الاكاديميين الفرنسيين الاجتماعيين، والتي كانت الثانية في اهميتها العالمية بعد المجموعة التي تشكلت في جامعة سان باولو – البرازيل، بدعم فرنسي. وفي العام ١٩٣٥ منح لقب بروفيسور، على اعتقاد انه سيبحث الجزر – الامريكية. لكنه تخلى عن كرسيه عام ١٩٣٩، مفضلا الدراسة والبحث عن شعوب نامبيكوارا وماتو غروسو في الامازون البرازيلية وعلى الرغم من ان مجاله ذلك بدا متواضعا في بادئ الامر في حقل – علم الانسان – لكنه كان مؤثرا. والاهم من ذلك ان بحوثه اكدت احترامه لثقافة وتقاليد تلك الشعوب التي تسكن في اميركا الجنوبية، مبديا اهتماما اكثر بالجوانب الفلسفية والفنية والثقافية للعالم القديم.

وقد تأكد بعد ذلك اتجاهه مع احداث الحرب العالمية الثانية، واحس بالاهانة التي وجهت لبلاده، عندما عاد الى فرنسا التي هرب منها الى نيويورك، مع عدد آخر من المثقفين الفرنسيين، حيث تم تعيينه في (المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية). وبعد الحرب العالمية الثانية اصبح الملحق الثقافي في واشنطن، ثم تولى مناصب اخرى في بلاده حتى منح كرسي العلوم الانسانية – الانثروبولوجي عام ١٩٥٩. وفي عام ١٩٧٣ اختير عضوا في الاكاديمية الفرنسية ومنح جائزة ايراسموس. لقد كانت الفترة التي امضاها في امريكا قد انتجت البنوية اصطلاح استخدم بعدد متنوع من النظريات في علم الاجتماع وما وراءه والتي مع كونها استمدت افكاره فانها لاتحمل الكثير من عمله.

ومن المثير للدهشة انه على الرغم من التقدير الكبير الذي يعامل به وخاصة في فرنسا، لا يوجد لديه اتباع او طلاب. وهناك العديد ممن يدعون انهم بنيويون ولكن عدداً محدوداً من افكاره قد اثرت عليهم. ومجرد حمل وتبني شعار قوس (البنيوية) كان قد اصبح نوعا من الموضة العابرة.

وبنيوية شتراوس نفسه كانت مزيجا من المقاربة للطبيعة ودراسة الكائن الانساني والاتجاهات الفلسفية.ان الجانب الفلسفي في تفكيره كان نتيجة مزيج نظريتين الاول يتعلق بعلاقته بعلم الاجتماع الامريكي وتأثره بها – علاقة تبدو غامضة (نظرا لبعدها عن تأثيرات النظريات المعاصرة. الثاني انه اقترب من البنيويين اللغويين، مزيج سلوكي لنظريات اوروبية وامريكية وعلى الاخص العمل الخلاق لليعاقبة الرومان واللغويين الروس التي كانت مدرسة جديدة آنذاك. كان ليفي شتراوس مهتما بالانواع البشرية بشكل عام، وبالنسبة له فان المجموعات البشرية الصغيرة اكثر اهمية، "هنود الامازون" من العالم الصناعي الحديث. وقد قادته هذه المقاربة لإيلاء اهتمام بالاساطير المتعلقة بـ (اميرينيان) هذه الدراسة التي شملت معظم مؤلفاته منذ اعوام الستينيات وخاصة في كتابه (ميثولوجيات) الذي صدر باربعة اجزاء خلال ١٩٦٤ – ١٩٧١.

في حياته لقي كلود ليفي شتراوس التقدير غير المسبوق وخاصة عند بلوغه سن المائة وبدا كأن فرنسا بأكملها قد اكتشفت انه شيء ثمين ومصدر للقوة. وتسلم شتراوس في تلك المناسبة ميداليات وجوائز من انحاء العالم كافة، خاصة ان مكانته الادبية كانت باستمرار مصدر فخر لفرنسا. لقد كان شتراوس آخر المفكرين الاحياء من جيله. وفي يوم عيد ميلاده المائة ذهب الرئيس ساركوزي الى داره متمنيا له يوما سعيدا، وحملت جميع الصحف الفرنسية صورته على الصفحة الاولى، وكما يقال فان فرنسا تكرم علماءها كما تفعل مع ادبائها وبالطريقة نفسها.

قناديل

عازفو الزوال من يوميات باريس

لطفية الدليمي

ارفع قبة المعطف إتقاء البرد وافتح المظلة فتحطمها الريح، أعود الى الدكان الصيني واشتري مظلة رخيصة ستحطمها عاصفة قادمة، مرارا غشني البائع الصيني وهم بارعون في الاقناع والغش، لكنني أعود إليه فلا خيار لدي، متجره يتوضع على ناصية الشارع مثل قاطع طريق ويقنصنا بغواية المصنوعات الصينية التي تطمئن عوز اللاجئين والمهاجرين من جهات العالم، يتربص بنا متجره الجميل وهو يعرض الف صنف من المشغولات اليدوية والأقداح والبخور وجذور اللوتس واواني الخيزران ونحن في طريقنا الى المتاهة الباريسية..

المطر والصقيع الباريسي لا قلب له إزاء المشردين والحزانى يجعلني أحث الخطى الى أقرب محطة للمترو وليس أمامي سوى محطة مترو بلفيل، أهبط السلم الموحل وامرر بطاقتي في الآلة لتفتح لي المعبر الاوتوماتيكي، أمضي باتجاه قطار الريبوبليك فأجد الرجل جالسا على المصطبة نفسها،هو ذاته عازف العود النوبي من مصر،فارع القامة بإطلالة حزينة ووسامة مترفعة،هيأته أقرب الى هيئة أستاذ ريفي فقد وظيفته في مجتمع غادر، يدندن بعوده أنغاما عربية ساحرة تنسيني لبرهة وهم ما أنا فيه، أحييه وامنحه بعض النقود فيعزف لي على غير اتفاق إحدى أغنيات أم كلثوم او عبد الوهاب، كان ثمة تواطؤ صامت بين الغريبين المقتلعين من بيئتهما، حين يراني مقبلة يحييني بابتسامة مهذبة ويشرع في العزف وقد يسألني: إزاي الحال؟ ويشرع بعزف روحاني مجبول بشجن شرقي خلال دقيقتين وهي المدة بين رحيل قطار ومجيء ثان، لكني غالبا ما ادع القطار يفوتني حين أكون صحبة صديقة لنتمتع بعزفه الشجي غير آبهتين بالزمن، فيظهر إمتنانه إجادة عزف –لتثميننا فنه الجميل الزائل في مهب القطارات ولامبالاة الغرباء، كان يجد فينا نوعا من تواصل مع ذاكرة عربية شحبت في غربة الغرب ويلمس لدينا احتراما لإنسانيته المسوّرة بكرامة الفن الجميل..

حزانى ينثرون الموسيقى في العراء، موسيقون يعبرون الجهات محلقين بأجنحة غبار ووهم، رماد الشقاء يكدر ملامحهم، هيأتهم رثة ووجوههم المخددة ترتجل أقنعة سعادة هشة لا تنجح في تمويه شقائهم الفاضح، زمنهم مهدور في الطرقات و أنفاق المترو التي يطردون منها بعد منتصف الليل، الأكورديون والساكسفون غالبا رفيقا رحلاتهم العابرة وبعض آلات النقر او الآلات التقليدية للأفارقة والهنود الحمر والسلافيين والآسيويين، يلقي لهم المارة بقطع النقود في قبعة أو طبق وهم يتناوبون العمل طوال النهار حتى انتصاف ليل القطارات فيحملون آلاتهم ويغادرون الى مجهول المدينة، يحاولون ايجاد مأوى في أزقتها المعتمة أو مرائب السيارات المفتوحة او ينصبون خيامهم الصغيرة على رصيف جانبي او في مرج مهجور، يكافحون وطأة التشرد والبؤس بالإدمان والموسيقى،غير آبهين إلا بلحظتهم الزائلة،هم رعاة العدم المنغم وصناع البهجة المؤقتة، بائعو المتع الروحية بلا دنس..

أقابلهم في فسحات وممرات المحطات الأنيقة لمترو باريس في السان جيرمان دي بريه أو الريبوبليك أو الأوبرا والكونكورد وفي محطات الأحياء الفقيرة كمحطة مترو بلفيل أو محطة فيليجيف –لويس اراغون أو فولتير، متأهبين للتحليق العسير مع آلاتهم الموسيقية و بطارية سيارة محمولة على عربة صغيرة لتشغيل مكبرة الصوت وفي اليد كوب ورقي او مطاطي اسود لجمع العطايا البخسة من ركاب المترو،وما أن يتوقف قطار الأنفاق حتى تراهم يقفزون اليه بخفة راقص رشيق – ويتخذون موضعا ستراتيجيا في العربة ويبدأ الحفل الانفرادي بعزف مقطوعة شائعة او أغنية كلاسيكية وأحيانا الترنم بقصيدة وغالبا ما ترافق العازف مغنية او مغن يردد أغاني بالإنكليزية مفترضا ان معظم مستخدمي المترو من الغرباء السائحين او المهاجرين الذين يتحدثون هذه اللغة و قد يجزلون لها وله العطاء..

غالبا ما يحتكر فريق موسيقي محطة معينة ويضفي طابعا من الألفة على أجوائها المكتظة فنعتاد رؤية عازفين من الهنود الحمر بشعورهم الطويلة المسدلة ووجناتهم البارزة وعقود الخرز يحتلون ممرات محطة الريبوبليك وفرقة من منغوليا تحتل فسحة محطة بلاس دي ايتالي، وعازف هندوسي يعزف على السيتار في محطة لاشابيل، فتنتقل بنا القطارات بين عوالم وفنون القارات وهي فرصة قد لا تتاح لنا في اية مدينة من مدن الأرض سوى باريس..